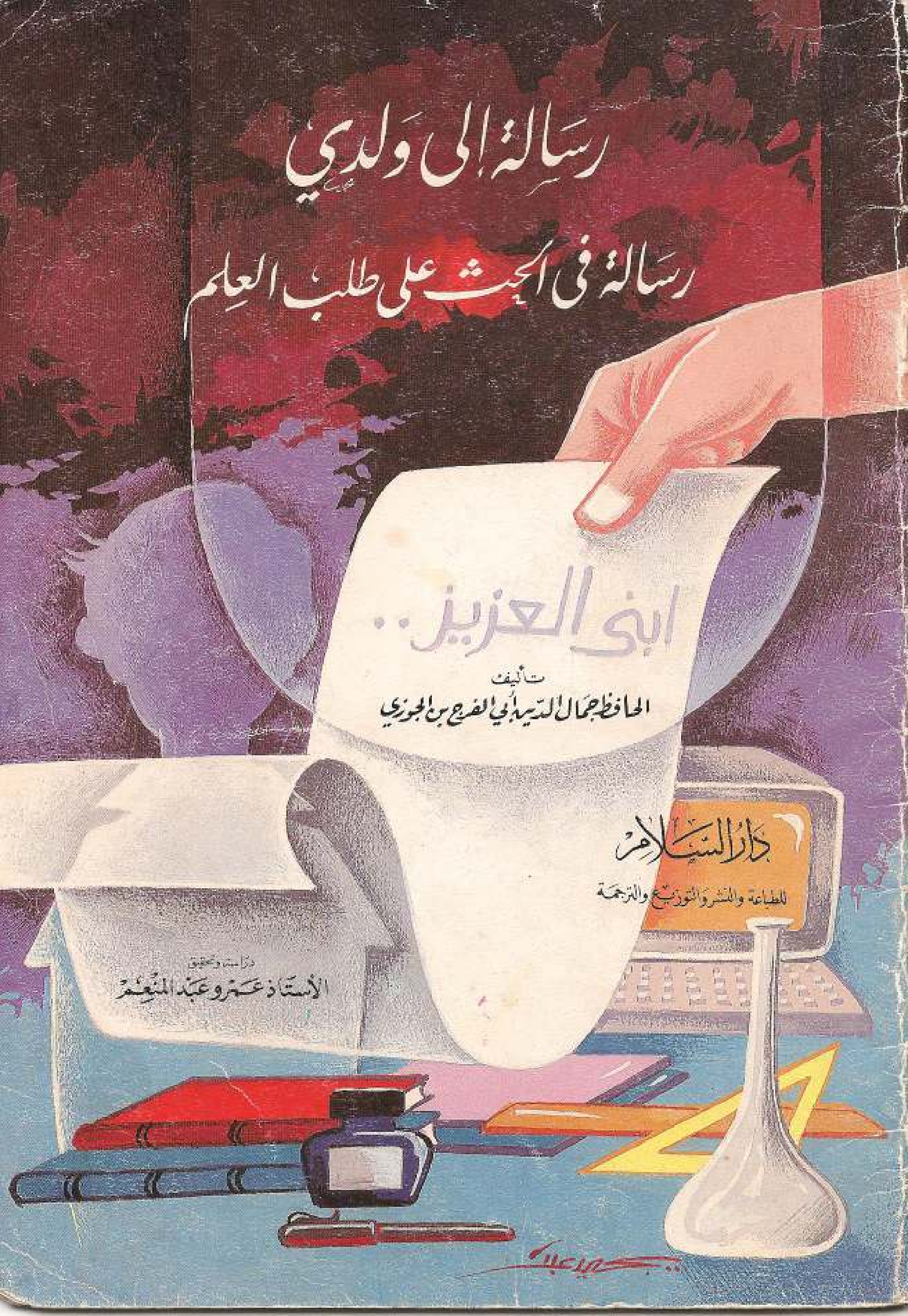
رسالة إلى ولدي

رسالة في الحث على طلب العلم



تأليف

الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي

دراسة وتحقيق

الأستاذ عمرو عبد المنعم

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

رسالة إلى ولدي

رسالة في الحث على طلب العلم

تأليف

الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي

دراسة وتحقيق

الأستاذ عمرو عبد المنعم

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر ت ٩٣٢٨٢٠ ـ ٢٦٣١٥٧٨
ص.ب ١٦١ الغورية فاكس ٢٦٢١٧٥٠

الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بـه من شرور أنفسنـا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

« أما بعد » : فإن طلب العلم الشرعي من أفضل مـا يتقرب بـه المسلم إلى مولاه جل وعلا ، وقد كان من دأب السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين تعليم أولادهم مـا يجب عليهم التحلي بـه من الآداب والأخـلاق الحميـدة مـع شيوخهم وإخوانهم ممن يسعون معهم عند المشايخ ، ومع مؤدبيهم .

ولذلك فقد حرص كثير من العلماء على تحرير الرسائل الصغيرة والكتب المطولة التي تتناول هذا الجانب من التربية الإسلامية ، نـذكر منهـا على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ :

مؤلفات الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ « كالرحلة في طلب الحـديث » ، و « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » ، وكتاب « تذكرة السـامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » للإمام بدر الدين ابن جماعـة ، و « تعليم المتعلم طريق التعلم » للإمام الزرنوجي ، وغيرها مما كتب في هذا الموضوع .

وقد كان لي اهتمام كبير بالرسائل التي تتناول آداب الطالب والعـالم ، ومن ثم الحصول عليها ، وقد قدَّر الله عز وجل أن أقع على هذه الرسالـة القيمـة بعـد تحولي عن الكويت إلى مصر ، وكم سررت بها وبقراءتها ، خصوصًا مع فوائـدهـا الكثيرة وسهولة عباراتها وجزالتها ، حالها حال كل مصنفات الإمام الواعـظ أبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله .

ولذلك فقد جمعت الهمة على تحقيقها ، والتعليق عليها ، وإخراجها ، لكي تحصل الفائدة لطلاب العلم بالحصول عليها .

اللهم فإن أصبت فالحمد لله رب العالمين ، وإن أخطأت فأستغفر الله العظيم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه
وسلم

وكتبه
أبو عبد الرحمن الأثري
عمرو بن عبد المنعم الطنطاوي
عفا الله عنه

ترجمة المصنف

(نبذة مختصرة) (*)

ـ **اسمه ونسبه** : هو الشيخ الإمام ، العلاّمة ، الحافظ ، جمال الدين ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمّاديّ بن أحمد ابن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن الفقيه عبد الرحمن ابن الفقيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، القرشي ، التيمي ، البكري ، البغدادي ، الحنبلي ، الواعظ ، المشهور بابن الجوزي .

قال ابن عبد الهادي في « طبقات علماء الحديث » (٤ / ١١٩) : « وعُرِفَ جَدُّهم بالجوزي بجوزةٍ كانت في داره بواسط ، لم يكن بواسط جوزة غيرها » ا.هـ.

ـ **مولده** : وُلِدَ سنة تسعٍ أو عشرٍ وخمس مئةٍ .

ـ **طلبه للعلم** : وخير إخبارٍ عن طلبه للعلم وجدّه فيه ، ما أخْبر به عن نفسه في هذه الرسالة .

قال رحمه الله : « فإني أذكر نفسي ولي همة عالية ، وأنا في المكتب ، ولي نحو من ست سنين ، وأنا قرين الصبيان ، ثم رُزِقْتُ عقلاً في الصغر يزيد على الأشياخ ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع صبي ، ولا ضحكت ضحكًا خارجًا ، حتى إني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع ، ولا أتخير حلقة مشعبذ ، بل أطلب المحدّث فيتحدث بالسمر الطويل فأحفظه ، فأرجع إلى البيت فأكتبه .

ولقد وُفّقَ لي شيخٌ أبو الفضل ، فكان يحملني إلى الأشياخ ، فأسمعني المسند

(*) مصادر ترجمته : « سير أعلام النبلاء » : (٢١ / ٣٦٥) ، « تذكرة الحفاظ » : (٤ / ١٣٤٢) ، « وفيات ابن خلكان » : (٣ / ١٤٠) ، « الكامل » لابن الأثير : (١٢ / ٧١) .

وغيره من الكتب الكبار ، وأنا لا أعلم ما يراد مني ، وضَبَطَ لي مسموعاتي ، إلى أن بلغت ، فناولني ثبتها ، ولازمته إلى أن تُوفيَ ، فأدركت به معرفة الحديث والنقل » ا.هـ.

ثم قال : « وأحببت السهر ، ولم أقنع بفن واحد من العلم ، بل كنت أسمع الفقه ، والوعظ ، والحديث ، وأتبع الزهاد ، ثم قرأت اللغة ، ولم أترك أحدًا ممن قد انزوى أو وعظ ، ولا عربيًا يقدم إلا وأحضره » ا.هـ.

وقال الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ في « السير » (٢١ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨) :

« توفي أبوه وله ثلاثة أعوام ، فَرَبَّتْهُ عمته ، وأقاربه كانوا تجارًا في النُحاس ، فربما كتب اسمه في السَّماع عبد الرحمن بن علي الصَّفَّار .

ثم لما ترعرع ، حملته عمته إلى ابن ناصر ، فأسمعه الكثير ، وأحب الوعظ ، ولهج به » ا.هـ.

قلت : ومع هذا فلم تكن له رحلة ، مثله مثل غيره من العلماء ، بل اكتفى بسماعه الحديث من أهل بلده ، والتلقي عنهم .

قال الذهبي في « السير » (٢١ / ٣٦٦) : « ولم يرحل في الحديث ، لكنه عنده « مسند الإمام أحمد » ، و« الطبقات » لابن سعد ، و« تاريخ الخطيب » ، وأشياء عالية ، و« الصحيحان » ، والسنن الأربعة ، و « الحلية » ، وعدة تواليف وأجزاء يُخَرِّج منها .

وكان آخر من حَدَّث عن الدينوري والمتوكلي ، وانتفع في الحديث بملازمة ابن ناصر ، وفي القرآن والأدب بسبط الخياط ، وابن الجواليقي ، وفي الفقه بطائفة » ا.هـ.

ـ شيوخه : ومع أنه لم تكن له رحلة في الطلب والسماع ، إلا أنه سمع من مجموعة

كبيرة من المشايخ ، مجموعهم ـ كما قال الذهبي في « السير » ـ نيف وثمانون شيخًا ، قد خرّج عنهم « مشيخة » في جزءين ، وهذا عدد كبير بالنسبة لبلد واحد .

وقد سمع من : أبي القاسم بن الحصين ، وأبي عبد الله الحسين بن محمد البارع ، والدينوري والمتوكلي ـ وهو آخر من حدّث عنهما ـ وإسماعيل بن أبي صالح المؤذّن ، والفقيه أبي الحسن ابن الزاغونيّ ، وأبي غالب بن البناء ، وأبي الوقت السجزي ، وابن البَطيّ ، وغيرهم .

ـ تلاميذه : حدّث عنه : ابنه الصاحب محي الدين يوسف أستاذ دار المستعصم بالله ، وولده الكبير عليٌّ الناسخ ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلي ـ صاحب « مرآة الزمان » ـ والحافظ عبد الغني المقدسي ، والشيخ موفق الدين ابن قدامة ، وابن الدبيثي ، وابن النجار ، وابن خليل ، وضياء الدين المقدسي . وغيرهم .

ـ مكانته في الوعظ : مع إتقان ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ لعلوم كثيرة ، منها التفسير ، والفقه ، والتاريخ ، والطب ، وغيرها إلا أنه كانت له اليد الطولى في الوعظ والتذكير .

قال الذهبي في « السير » (٢١ / ٣٦٧) : « وكان رأسًا في التذكير بلا مدافعة ، يقول النظم الرائق ، والنثر الفائق بديهًا ، ويُسْهِبُ ويُعْجِبُ ، ويُطْرِب ، ويُطنِب ، لم يأت قبله ولا بعده مثله ، فهو حامل لواء الوعظ ، والقيّم بفنونه ، مع الشكل الحسن ، والصوت الطيب ، والوقع في النفوس .. » ا.هـ.

وقال ابن عبد الهادي في « طبقات علماء الحديث » (٤ / ١٢٠) :

« ووعظ في حدود سنة عشرين وخمسمائة وإلى أن مات ، وحصل له من الحظوة في الوعظ ما لم تحصل لأحدٍ قط ، وحضر مجالسه ملوك ووزراء

وخلفاء من وراء الستر ، ويقال : إنه كان يحضر مجلسه مئة ألف » ا.هـ.

أما عن مدى تأثير مجالسه الوعظية في الناس ، فيخبر سبطه عن هذا قائلاً : سمعت جدي يقول على المنبر : كتبت بأصبعي ألفي مجلدة ، وتاب على يديّ مئة ألف ، وأسلم على يديّ عشرون ألفًا .

ولعل الفضل يرجع إلى شيخه ابن الزّاغوني في تعلمه الوعظ ، فهو الذي اعتنى به ، وعلّمه أسرار هذه الصنعة .

ـ **مكانته في الحديث** : أما عن الحديث ، فقد كان ابن الجوزي إمامًا حافظًا له ، إلا أنه كان صاحب هنات وأوهام في الكلام عليه وعلى رجاله وعلله ، وكان سريع الخطو في رمي الحديث بالضعف والوضع ، ولذا فقد ضعّف كثيرًا من الأحاديث الحسنة والصحيحة في كتابيه « العلل المتناهية » و « الموضوعات » .

ومما أُخذ عليه أيضًا أنه يذكر الجرح في الراوي الذي يترجم له في كتاب « الضعفاء والمتروكين » ولا يذكر التعديل الذي ذُكِرَ فيه .

ولعله يأتي في بعض كتبه كـ « التحقيق » في أحاديث الخلاف فيقوي حال الراوي الضعيف أو المتهم كجابر بن يزيد الجعفي ـ مثلاً ـ ليثبت بحديثه مذهبه في المسألة .

قال الحافظ سيف الدين ابن المجد : « هو كثير الوهم جدًا ، فإن في مشيخته مع صغرها أوهامًا » ا.هـ.

وقال ابن نقطة : قيل لابن الأخضر : ألا تُجيب عن بعض أوهام ابن الجوزي ؟ قال : إنما يُتتبع على من قلّ غلطه ، فأما هذا ، فأوهامه كثيرة » ا.هـ.

ـ **مكانته في التفسير والتاريخ** : وأما في التفسير والتاريخ فقد ضرب بسهم

وافر فيها ، وكانت له مصنفات كثيرة تخدم طلابها .

فلـه في التفسير : « المغني » ـ وهو تفسير كبير ـ وقد اختصره في أربع مجلدات ، وسماه « زاد المسير » ، و « تيسير التفسير » وغيرها .

وله في التاريخ : « المنتظم » و « درة الإكليل » وغيرهما .

ـ **مكانته في الفقه واللغة :** وكان ـ رحمه الله ـ حنبلي المذهب ، وله فيه آثار كثيرة منها : « المذهب في المذهب » ، كما صنف في الخلاف ، مثل : « التحقيق في مسائل الخلاف » ، و « الانتصار في الخلافيات » وغيرها ، وصنف كذلك في اللغة « تذكرة الأريب » و « الوجوه والنظائر » وغيرها .

ـ **ثناء العلماء عليه :** قال الذهبي : « كان رأسًا في التذكير بلا مدافعة » ا.هـ.

وقال أيضا : « الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر شيخ الإسلام ، وفخر العراق » ا.هـ.

ـ وقال ابن الدبيثي : « شيخنا جمال الدين صاحب التصانيف في فنون العلوم من التفسير والفقه والحديث والتواريخ وغير ذلك .

وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه ، والوقوف على صحيحه وسقيمه ، وكان من أحسن الناس كلامًا ، وأتمهم نظامًا ، وأعذبهم لسانًا ، وأجودهم بيانًا » ا.هـ.

ـ وقال موفق الدين : « ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة ، وكان صاحب فنون ، كان يصنف في الفقه ، ويُدرِّس ، وكان حافظًا للحديث » ا.هـ.

ـ وقال محفوظ بن معتوق ابن البزوري : « فأصبح في مذهبه إمامًا يُشار إليه ، ويعقد الخنصر في وقته عليه ،... ، وما أظن الزمان يسمح بمثله » ا.هـ.

- وقال ابن عبد الهادي : « العلامة ، الإمام ، الحافظ ، عالم العراق ، وواعظ الآفاق » ا.هـ.

- كلامه في السنة ، وأخذ العلماء عليه : مع أن ابن الجوزي كان إمامًا من أئمة الحنابلة ، إلا أنه كان أشعري المعتقد ، وربما صدر عنه كلام في السنة يخالف اعتقاد السلف ، فعاتبه البعض عليه وأنكره .

قال موفق الدين المقدسي - رحمه الله - : « لم نرضَ تصانيفه في السنّة ، ولا طريقته فيها ، وكانت العامة يعظمونه ، وكانت تنفلت منه في بعض الأوقات كلمات تنكر عليه في السنّة ، فيستفتى عليه فيها ، ويضيق صدره من أجلها » اهـ .

وقال : « كان أبو المظفر ابن حمدي ينكر على أبي الفرج كثيرًا كلماتٍ يخالف فيها السنة » ا.هـ.

وكان أبو إسحاق العَلْثي - كذلك - يكاتبه ، وينكر عليه .

- محنته : وامْتُحِنَ الشيخ في آخر عمره ، وخُتِمَ على داره ، وشتت عياله ، وأهين ، وحُمِلَ إلى واسط ، فحبس بها في بيت خمس سنين لم يدخل فيها حمامًا ، وكان يطبخ ويغسل ثوبه ، ويخدم نفسه .

وقصة امتحانه ذكرها الحافظ الذهبي في « السير » (٢١ / ٣٧٦ - ٣٧٧) - فلتراجع -

وكان السبب في خلاصه أن ولده الشيخ يوسف نشأ واشتغل وعمل في هذه المدة الوعظ وهو صبي ، وتوصّل حتى شفعت أم الخليفة ، وأطلقت الشيخ .

- مصنفاته : قد كان - رحمه الله تعالى - مكثرًا من التصنيف ، حتى بلغت مصنفاته - المئتين والخمسين - كما وجد بخطه - وكان يكتب في اليوم أربع

كراريس حتى قال فيه ابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ: « لا أعلم أحدًا صنف أكثر من ابن الجوزي إلا شيخنا الإمام الرباني أبا العباس أحمد بن عبد الحليم الحرّاني رضي الله عنه » ا.هـ.

ومن مصنفاته : « الموضوعات » ، و « العلل المتناهية » ، و « التحقيق في مسائل الخلاف » ، و« زاد المسير » ، و « الواهيات » ، و « الضعفاء » ، و « المنتظم في التاريخ » ، و « صفة الصفوة » ، و « تلبيس إبليس » ، و « مناقب أبي بكر » ، و « مناقب عمر » ، و « مناقب علي » ، و « مناقب إبراهيم بن أدهم » ، و « العزلة » ، و « الرياضة » ، و « مشهور المسائل » ، و « المدهش » ، و « المذهب في المذهب » ، و « الناسخ والمنسوخ » ، وغيرها من المصنفات النافعة .

وقد تتبع الأستاذ الفاضل عبد الحميد العلوجي أسماء مصنفات ابن الجوزي ونُسَخها والمطبوع منها ، وجمعها في كتاب ، مرتبةً ترتيبًا هجائيًا ، وقد طبع هذا الكتاب ببغداد ١٩٦٥ .

ـ **وفاته :** تُوفيِّ ليلة الجمعة بين العشاءين ، الثالث عشر من رمضان ، سنة (٥٩٧ هـ) في داره بقَطُفْتا .

وغُلِّقت الأسواق يوم وفاته ، واجتمع خلق كثير ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم عليٌّ ، وكان يوماً مشهودًا .

وبات عند قبره خلق كثير طول شهر رمضان ، يختمون الختمات ، بالشمع والقناديل ، فرحمة الله عليه وعلى أئمة المسلمين أجمعين . آمين .

هذه الرسالة

وَصَلَنا لهذه الرسالة المباركة نسخة خطية واحدة ، من مخطوطات دار الكتب المصرية ـ حرسها الله ـ وتقع تحت رقم : [٢٥٩١٦ ب] ضمن مجموعة ، من ورقة : ٢٠ ـ ٢٦ .

● **أما صفة هذه النسخة :**

فإنها جيدة حديثة الخط ، واضحة مقروءة ، مسطرتها (٢٥) سطرًا في كل وجه ، وأثبت على الوجه الأول منها اسم : « رسالة في الحث على طلب العلم والحركة على سلوك طريقه في كسب العلم وأدلته » ، نسخت سنة ١٢٥٦ هـ ، وهي مجدولة بمداد أحمر .

● **توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه :**

لا يساورني أي شك ـ ولله الحمد والمنّة ـ في صحة نسبة هذه الرسالة إلى مؤلفها الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ فقد ذكرها الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ضمن ما ذكره من مصنفات ابن الجوزي .

وشيء آخر يستأنس به في ثبوت نسبة هذه الرسالة إلى ابن الجوزي ، أن أسلوبه الإنشائي الوعظي الذي يتميز بحسن اختياره للكلمات والألفاظ والعبارات ، وبجزالة العبارات ومتانتها هو نفس الأسلوب الذي كتبت به هذه الرسالة ، كما سوف يظهر للقارئ إن شاء الله تعالى .

● **العمل في تحقيق الرسالة :**

١ ـ تحقيق نص الكتاب ، وضبطه باستخدام علامات الترقيم والشكل .

٢ ـ تخريج الأحاديث الواردة في متن الرسالة ، وتحقيق أسانيدها من

حيث الصحة والضعف ، بما تقتضيه قواعد مصطلح الحديث .

٣ ـ قمت بوضع بعض التعليقات على ما أبهم في متن الرسالة .

٤ ـ ذيَّلتُ الرسالة بثلاثة فهارس :

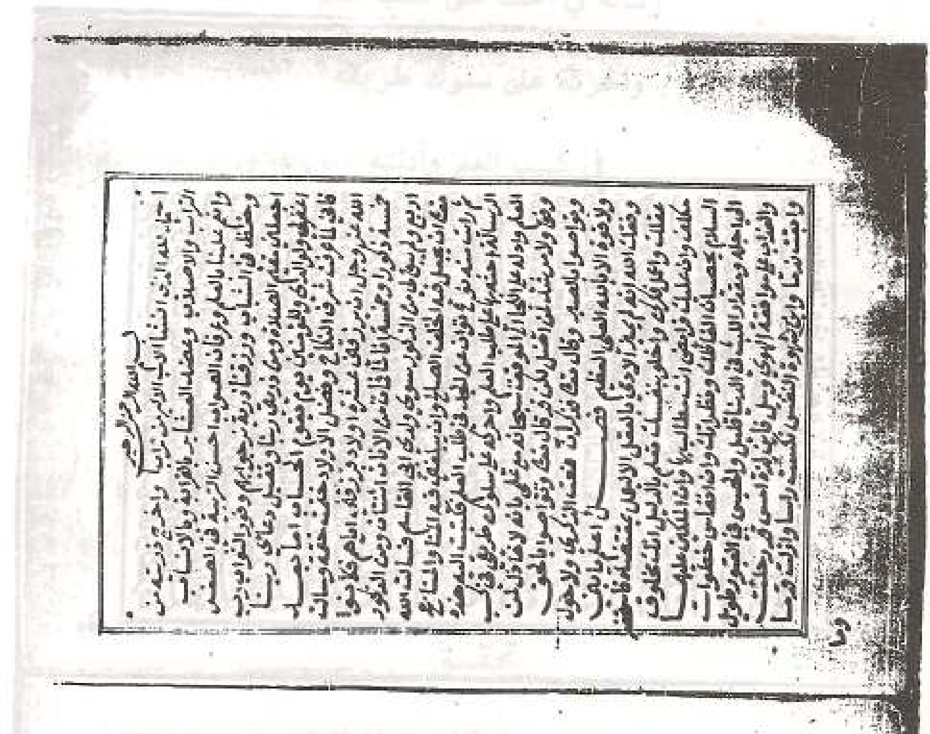
أ ـ فهرس بأطراف الأحاديث .

ب ـ فهرس الجرح والتعديل .

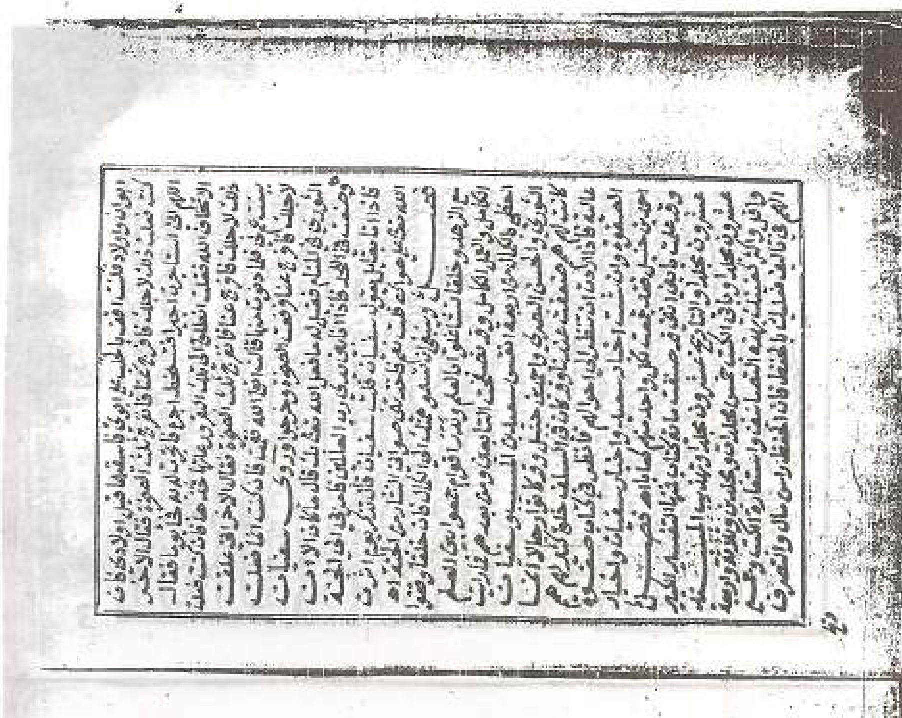
ج ـ فهرس الموضوعات والفوائد .

وأخيرًا : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يثيبَني على هذا الجهد المتواضع . إنه على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم .



الورقة الأولى من « الأصل » المخطوطة



الورقة الأخيرة من « الأصل » المخطوطة

رسالة في الحث على طلب العلم

والحركة على سلوك طريقه

في كسب العلم وأدلته

تأليف

الإمام الواعظ جمال الدين أبو الفرج

عبد الرحمن بن علي

ابن الجوزي

(٥٠٩ هـ ــ ٥٩٧ هـ)

تحقيق

عمرو بن عبد المنعم الطنطاوي

الورقة الأخيرة من الأصل المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب ، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب ، وعضد العشائر بالقرابة والأنساب ، وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب ، أحسن التربية في الصغر ، وحفظ في الشباب ، ورزقنا ذرية نرجو بهم وفور الثواب .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم : ٤٠ ـ ٤١) .

« أما بعد » : فإني لما عرفت شرف النكاح وفضل الأولاد ، ختمت ختمة ، وسألت الله عز وجل أن يرزقني عشرة أولاد ، فرزقني إياهم ، فكانوا خمسة ذكورًا وخمسة إناثًا [(١)] ، فمات من الإناث اثنتان ، ومن الذكور أربعة ، ولم يبق لي من الذكور سوى ولدي أبي القاسم [(٢)] ، فسألت الله تعالى أن يجعل

---

(١) قال الذهبي ـ رحمه الله ـ في « السير » (٢١ / ٣٨٤) : « قال سبطه ـ أبو المظفر ـ : خلّف من الولد عليًا ، وهو الذي أخذ مصنفات والده ، وباعها بيع العبيد ، ولمن يزيد ، ولما أُحْدِرَ والده إلى واسط ، تَحَيَّل على الكتب بالليل ، وأخذ منها ما أراد ، وباعها ولا بثمن المداد ، وكان أبوه قد هجره منذ سنين ، فلما امتحن ، صار ألبًا عليه ، وخلّف يوسف ـ محيي الدين ـ فوَلِّيَ حسبة بغداد في سنة أربع وست مئة ، وتَرَسَّل عن الخلفاء إلى أن ولي في سنة أربعين أستاذ دارية الخلافة ، وكان لجدي ولد أكبر أولاده اسمه عبد العزيز ، سَمَّعه من الأرموي وابن ناصر ، ثم سافر إلى الموصل ، فوعظ بها ، وبها مات شابًا ، وكان له بنات : رابعة أُمّي ، وشرفُ النساء ، وزينب ، وجوهرة ، وست العلماء الصغيرة » ا.هـ.

(٢) هو بدر الدين علي بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو القاسم ، وكان يلقب بأبي الحسن .
أسمعه والده في صباه من أبي الفتح بن بطي ، وأبي زرعة طاهر المقدسي ، وأحمد بن المغرب الكرفي ، وعقد مجلس الوعظ في صباه مع والده ، ولكن غلب عليه بعد ذلك اللهو واللعب وعشرة المفسدين ، فأبعده والده ، وهجره إلى أن مات .
وقد سبق كلام سبط ابن الجوزي فيه ، وفي بيعه مصنفات أبيه بثمن بخس . « ابن الجوزي » د ـ حسن عيسى علي الحكيم (ص ٢٧) .

فيه الخلف الصالح ، وأن يبلغني فيه المنى والمناجح .

ثم رأيت منه نوع توانٍ عن الجد في طلب العلم ، فكتبت إليه هذه الرسالة ، أحثه بها على طلب العلم ، وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم ، وأدله على اللُّجأ إلى الموفق سبحانه ، مع علمي بأنه لا خاذل لِمَنْ وفق ، ولا مرشد لمن أضل ، لكن قد قال تعالى : ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ (العصر : ٣) ، وقال تعالى : ﴿ **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى** ﴾ (الأعلى : ٩) .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل

اعلم يا بني وفقك الله أنه لم يميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه ، فاستحضر عقلك ، وأعمل فكرك ، واخلُ بنفسك ، تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف ، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها ، وأن الملكين عليهما السلام يحصيان ألفاظك ونظراتك ، وأن أنفاس خطواتك إلى أجلك ومقدار اللبث في الدنيا قليل ، والحبس في القبور طويل ، والعذاب على موافقة الهوى وبيل ، فأين لذة أمس ؟! قد رحلت وأبقت ندمًا ، وأين شهوة النفس ؟! نكست رأسًا ، وأزلت قدمًا .

وما سعد من سعد إلا بمخالفة هواه ، ولا شقي من شقي إلا بإيثار دنياه ، فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد ، أين لذة هؤلاء ، وأين تعب أولئك ؟! بقي الذكر الجميل للصالحين ، والمقالة القبيحة عن العاصين ، وكأنه ما شبع من شبع ، ولا جاع من جاع .

والكسل عن الفضائل بئس الرفيق ، وحب الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لذة ، فانتبه لنفسك ، واعلم : أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم ، فمتى تعدى فالنار .

ثم اعلم : أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين ، ثم الفضائل تتفاوت ، فمن الناس ، من يرى الفضائل الزهد في الدنيا ، ومنهم من يراها التشاغل بالتعبد ، وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل ، فإذا حُصّلا رَفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه ، وحركاه إلى محبته والشوق إليه ، فتلك الغاية القصوى ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وليس كل مريد مرادا ، ولا كل طالب واجدا ، ولكن على العبد الاجتهاد ، وكل ميسر لما خلق له .

فصل

وأول ما ينبغي النظر فيه في معرفة الله تعالى بالدليل [٣] ، ومعلوم أن من رأى السماء مرفوعة ، والأرض موضوعة ، وشاهد الأبنية المحكمة ، خصوصًا جسد نفسه ، علِمَ أن لابد حينئذ للصنعة من صانع ، وللمبني من بان ، ثم يتأمل دليل صدق الرسول ﷺ إليه ، وأكبر الدلائل القرآن الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة مثله .

فإذا ثبت عنده وجود الخالق ، وَصِدْق الرسول ﷺ ، وجب تسليم عنانه إلى الشرع ، فمتى لم يفعل ، دل على خلل في اعتقاده .

---

(٣) لقوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ (محمد : ١٩) . وقال الإمام الزرنوجي في « تعليم المتعلم طريق التعلم » (ص ١١) . « ينبغي لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه ، مما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال ، ثم ما يحتاج إليه في المآل ، فيقدم علم التوحيد والمعرفة ، ويعرف الله تعالى بالدليل » ا.هـ.

قلت : فعلم التوحيد بأقسامه وتوابعه أول ما يجب على طالب العلم تلقيه ، وعليه حرص السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فتلقوه بالطرق النقلية ، وخلفهم قوم قدموا العقل على النقل ، فضلوا وأضلوا ، وظهرت الأهواء والبدع ، للتوقف عن طلب الدليل الشرعي لما يعتقده الطالب ، واقتصر الأمر على بعض المتون السقيمة ، التي ألفها بعض العقلانيين ، مما يحفظها الطالب في مهد طلبه ، فيكون اعتقاده سخافات وآفات ، بل يكون بعضها كفرًا بواحًا والعياذ بالله .

وكان هذا الأمر إلى وقت قريب جدًا ، بل ومازالت كثير من دور التعليم الشرعية تعتمد على هذه الطريقة المتخلفة في تدريس العقيدة الإسلامية ، حتى أصبح المنطق هو ما يسمى باسم التوحيد ، وهذا عين ما ذهب إليه أهل الأهواء من المعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم .

إلا أنه قد ظهر من خلال الصحوة الإسلامية التي تشهدها الأمة من العلماء من ينادي بضرورة العودة إلى النقل ونبذ العقل إذا خالف النقل في دراسة مسائل العقيدة ، وعاد طلاب العلم للانكباب مرة أخرى على الكتب التي ألفت في مجال العقيدة على منهج السلف الصالح في تقديم النقل على العقل ككتاب ابن خزيمة في « التوحيد » و « إثبات صفات الرب » ، وكتاب الدارقطني في « النزول » ، وكتاب اللالكائي في « معتقد أهل السنة والجماعة » ، و « الرد على الجهمية » للدارمي ، و « خلق أفعال العباد » للإمام البخاري ، وغيرها مما صنف في هذا المجال .

فالله أكبر على هذه العودة إلى الكتاب والسنة .

ثم ينبغي له أن يعرف ما يجب عليه من الوضوء ، والصلاة والزكاة إن كان له مال ، والحج (٤) ، وغير ذلك من الواجبات ، فإذا عرف قدر الواجب ، وقام به ، فينبغي لذي الهمة أن يترق إلى الفضائل ، فيتشاغل بحفظ القرآن وتفسيره (٥) ، وبحديث رسول الله ﷺ ، وبمعرفة سيره ، وسير أصحابه ،

---

(٤) وهي الفروض العينية التي يجب على كل أحد معرفتها للعمل بها ، ولا يجوز لأحد ترك تعلمها .
وفي هذا المقام قال الحافظ ابن عبد البر النمري في « جامع بيان العلم وفضله » (١ / ١٠) :
« قد أجمع العلماء على أن العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه ، ومنه ما هو فرض على الكفاية ، إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع ، واختلفوا في تلخيص ذلك ، والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك مالا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه ، نحو الشهادة باللسان ، والإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ، لا شبه له ولا مثل ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ، خالق كل شيء ، وإليه مرجع كل شيء ، المحيي المميت ، الحي الذي لا يموت ، والذي عليه جماعة أهل السنة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه ، ليس لأوليته ابتداء ، ولا لآخريته انقضاء ، وهو على العرش استوى ، والشهادة بأن محمدًا عبده ورسوله ، وخاتم أنبيائه حق ، وأن البعث بعد الموت للمجازاة بالأعمال ، والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان والطاعة في الجنة ، ولأهل الشقاوة بالكفرْ والجحود في السعير حق ، وأن القرآن كلام الله ، وما فيه حق من عند الله ، يجب الإيمان بجميعه ، واستعمال محكمه ، وأن الصلوات الخمس فرض ، ويلزمه من علمها علم مالا تتم إلا به من طهارتها ، وسائر أحكامها ، وأن صوم رمضان فرض ، ويلزمه علم ما يفسد صومه ، وما لا يتم إلا به ، وإن كان ذا مال وقدرة على الحج ، لزمه فرضًا أن يعرف ما تجب فيه الزكاة ، ومتى تجب ، وفي كم تجب ، ويلزمه أن يعلم بأن الحج عليه فرض مرة واحدة في دهره إن استطاع إليه سبيلاً . إلى أشياء يلزمه معرفة جملها ولا يعذر بجهلها نحو تحريم الزنا والربا ... » ا.هـ.
وقال الإمام الزرنوجي في « تعليم المتعلم » (ص ٤) : « اعلم أنه لا يفترض على كل مسلم طلب كُلّ عِلْم ، وإنما يُفترض عليه طلب علم الحال ، فإنه يقال : أفضل العلم علم الحال ، وأفضل العمل حفظ الحال ، ويفترض على المسلم طلب علم ما يقع له في حاله ، في أي حال كان ، فإنه لابد له من الصلاة ، فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة ، ويجب عليه بقدر ما يؤدي به الواجب ، لأن ما يتوسل به إلى إقامة الفرض يكون فرضًا ، وما يتوسل به إلى إقامة الواجب يكون واجبًا ، وكذلك في الصوم والزكاة ، إن كان له مال ، والحج إن وجب عليه ، وكذلك في البيوع إن كان يتجر » ا.هـ.
(٥) وقد حث العلماء طلاب العلم على الابتداء أول طلبهم بحفظ القرآن الكريم ، وإتقان قراءته ، =

والعلماء بعدهم ، يستخير مرتبة الأعلى فالأعلى .

ولابد من معرفة ما يقيم به لسانه من النحو ، ومعرفة طرف من اللغة مستعمل ، والفقه أم العلوم ، والوعظ حلواؤها ، وأعمها نفعًا .

وقد رتبت في هذه المذكورات وغيرها من التصانيف ما يغني عن كل ما سبق من تصانيف القدماء ، بحمد الله ومنته ، فأغنيتك عن تطلب الكتب ، وجمع الهمم للتصنيف ، وما تقف همة إلا لخساستها ، وإلا فتى الهمة لم تقنع بدوان ، وقد عرفت بالدليل أن الهمة مولدة مع الآدمي ، وإنما يقصر بعض الهمم ، فإذا حُثّت سادت (٦) .

ومتى رأيت في نفسك عجزًا فسل المنعم ، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق ، ولن تنال خيرًا إلا بطاعته ، ولا يفوتك خيرٌ إلا بمعصيته ، ومن الذي أقبل عليه ، فلم ير كل مراد لديه ، ومن الذي أعرض عنه فحظي بغرض .

أو ما سمعت قول الشاعر :

= وترتيله ، وتسميعه . قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ في « الجامع لأخلاق الراوي » (١ / ١٠٦) : « ينبغي للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله عز وجل ، إذ كان أجلَّ العلوم وأولاها بالسبق والتقديم » . وعن الوليد بن مسلم الدمشقي قال : « كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينا حدثًا ، قال : ياغلام ، قرأت القرآن ؟ فإذا قال : نعم ، قال : اقرأ : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم** ﴾ (النساء : ١١) ، وإن قال : لا ، قال : اذهب ، تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم » ا.هـ.

وقال الشيخ العلاّمة القاضي بدر الدين بن جماعة في « تذكرة السامع والمتعلم » (ص ١٤) : في الفصل الثالث : (في آدابه في دروسه وقراءته في الحلقة وما يعتمده فيها مع الشيخ والرفقة) : « أن يبتدئ أولاً بكتاب الله العزيز ، فيتقنه حفظًا ، ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه ، فإنه أصل العلوم وأمها وأهمها » ا.هـ.

(٦) وفي ذلك قال الشافعي ـ رحمه الله ـ :

أَلا لا تَنَالُ العِلْمَ إلا بِستَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عن مَجْمُوعِها بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ وحِرْصٌ واصْطِبارٌ وبُلْغَةٌ ... وإرْشَادُ أُسْتَاذٍ وطُولُ زَمَانِ

بِـــاللَّيْــلِ مَـــاجِئْتُكم زائرًا إلاَّ رَأَيْتُ الأَرْضَ تُطْـــوَىٰ بي
وَلا ثَنَيْتُ العَــزْمَ عَنْ بَـــابِكِمْ إلاَّ تَعَثَّرْتُ بِــــأذْيَـــالي

فصل

وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود ، فَتَلَمَّح كيف حفظك لها ، فإنه من راعى روعي ، ومن أهمل تُرِك ، وإني لأذْكر لك بعض أحوالي ، لعلك تنظر إلى اجتهادي ، أو تسأل الموفق لي .

إنّ أكثر الإنعام عليَّ لم يكن بكسبي ، وإنما هو من تربية اللطف بي ، فإني أذْكُر نفسي ولي همة عالية ، وأنا في المكتب ، ولي نحو من ست سنين ، وأنا قرين الصبيان ، ثم رُزِقْتُ عقلا في الصِّغَر يزيد على الأشياخ ، فَمَا أذْكُر أني لعبت في طريقٍ مع صبي ، ولا ضحكت ضحكا خارجًا ، حتى إنّي كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع ، ولا أتخير حلقة مشعبذ ، بل أطلب المُحَدِّث فيتحدث بالسمر الطويل ، فأحفظ ، فأرجع إلى البيت فأكتبه (٧) .

ولقد وُفِّق لي شيخ (*) أبو الفضل (٨) ، فكان يحملني إلى الأشياخ ، وأسمعني

(٧) انظر ـ رحمك الله ـ إلى اهتمامه بالعلم ، والجد في طلبه منذ الطفولة ، وبذله وقته كله في تحصيل العلم ، وانظر الآن إلى عوام الطلاب ، وتضييعهم للأوقات ، وعدم الحرص على حضور المشايخ والدروس ، ثم بعد ذلك ادعائهم العلم ، وتسويد الكتب بأسمائهم ، لأنهم تصدروا قبل أن يتأهلوا ، فإلى الله المشتكى .

(*) وقع في « الأصل » : (شيخًا) ، والصواب ما أثبتناه .

(٨) هو الإمام الحافظ ، مُحَدِّث العراق ، أبو الفضل ، محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السَّلامي . ولد سنة (٤٦٧ هـ) . سمع أبا القاسم علي بن البُسْري ، وأبا طاهر بن أبي الصقر ، وعاصم بن الحسن ، وطرادًا الزَّيْنَبي وغيرهم ، وأجاز له ابن النقور ، وابن ماكولا ، وجماعة . وعنه : السلفي ، وابن عساكر ، والسمعاني ، وابن الجوزي ، وغيرهم . قال ابن الجوزي : « كان ثقة ، حافظًا ، ضابطًا ، من أهل السنة ، لا مغمز فيه ، تولى تسميعي ، وسمعت بقراءته « مسند » أحمد ، والكتب الكبار ، وعنه أخذت علم الحديث ، وكان كثير الذكر ، سريع الدمعة » ا.هـ. توفي في ثامن عشر شعبان ، سنة (٥٥٠ هـ) . « طبقات علماء الحديث » لابن =

المسند وغيره من الكتب الكبار ، وأنا لا أعلم ما يراد مني ، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت ، فناولني ثبتها ، ولازمته إلى أن تُوفي ، فأدركت به معرفة الحديث والنقل .

ولقد كان الصبيان ينزلون دجلة ، ويتفرجون على الجسر ، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءًا ، وأقعد حجزة من الناس إلى جانب الرقة ، فأتشاغل بالعلم ، ثم أُلهمت الزهد ، فسردت الصوم ، وتشاغلت بالتقلل (٩) .

شعر :

وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّت

وأحببت السهر ، ولم أقنع بفن واحد من العلم ، بل كنت أسمع الفقه ، والوعظ ، والحديث ، وأتبع الزهاد ، ثم قرأت اللغة ، ولم أترك أحدًا ممن قد انزوى أو وعظ ، ولا عربيا يقدم ، إلا وأحضره ، وأتخير الفضائل .

وكنت إذا عَرِضَ لي أمران أقدم في أغلب الأحوال حق الحق ، فأحسن تدبيري وتربيتي ، وأجراني على ما هو الأصلح لي ، ودفع عني الأعداء والحُسَّاد ومن يكيدني ، وهيأ لي أسباب العلم ، وبعث إليَّ الكسب من حيث لا أحتسب (١٠) ، ورزقني الفهم وسرعة الحفظ وجودة التصنيف ، ولم يعوزني شيء

= عبد الهادي : (٤ / ٦٣) .

(٩) وهذا أمر غفل عنه كثير من طلبة العلم ، ألا وهو الاشتغال بالعبادة ، فعلى طالب العلم أن يملأ وقته كله بذكر الله عز وجل ، إما بطلب أو قراءة على الشيخ ، أو مدارسة ما سبق له قراءته ، أو الاشتغال بالنسخ ، أو بالتسبيح والاستغفار والذكر ، أو قراءة القرآن ، أو التنفل وقيام الليل .

(١٠) قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ في « الجامع » (١ / ٩٧) : « إذا كان للطالب عيال لا كاسب لهم غيره ، فيكره له أن ينقطع عن معيشته ، ويشتغل بالحديث عن الاحتراف لهم » ا.هـ. قلت : ولذلك ترك كثير من العلماء التزويج أثناء الطلب ، حتى لا يثقل كاهله بأمر النفقة وغيرها من أمور الزوجية ، وفي ذلك يقول الخطيب (١ / ١٠١) : « المستحب لطالب =

من الدنيا ، بل ساق إليَّ مقدار الكفاية وأزيد ، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحد ، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته ، فقد أسلم على يديَّ نحو من مائتين ، وقيل من تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف ، وقد قطعت أكثر من عشرين ألف جمّة .

ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نَفَسي من العد ، ولا سبق ، وكنت أُصْبح وليس لي ما آكل ، وأمسي وليس لي شيء ، وما أذلني لمخلوق ، ولكنه ساق رزقي لصيانة عرضي ، ولو شرحت أحوالي ، طال الشرح ، وها أنا ، ترى ما قد آلت الحال إليه ، وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ (البقرة : ٢٨٢) .

فصل

فانتبه يا بني لنفسك ، واندم على ما مضى من تفريطك ، واجتهد في لحاق الكاملين ، مادام في الوقت سعة ، واسق غصنك ، مادامت فيه رطوبة ، واذكر ساعاتك التي ضاعت ، فكفى بها عظة ، ذهبت لذة الكسل فيها ، وفاتت مراتب الفضائل ، وقد كان السلف يحبون جمع كل فضيلة ، ويبكون على فوت واحدة منها .

قال إبراهيم بن أدهم : دخلنا على عابد مريض ، وهو ينظر إلى رجليه ويبكي ، فقلنا : مالك تبكي ؟ فقال : ما اغبرتا في سبيل الله تعالى ، وبكى آخر فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : على يوم مضى ما صمته ، وعلى ليلة ذهبت ما قمتها .

واعلم يا بني أن الأيام تبسط ساعات ، والساعات تبسط أنفاسا ، ولكل

= الحديث أن يكون عزبًا ما أمكنه ذلك ، لئلا يقتطعه الاشتغال بحقوق الزوجة والاهتمام بالمعيشة عن الطلب » ا.هـ.

نفسٍ خزانة ، فاحذر أن تُذْهِب نفسًا في غير شيء ، فتَرَى يوم القيامة خزانة فارغة ، فتندم [١١] .

وقد قال رجل لعامر بن عبد قيس : قف أكلمك ، فقال : أَمْسِكِ الشمس .

وقعد قوم عند معروف ، فقال : أما تريدون أن تقوموا فإن ملك الشمس يجبرها ، لا يفتر ، وفي الحديث : « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة [١٢] .

فانظر إلى مضيع الساعات كم يفوته من النخل ، وقد كان السلف يغتنمون اللحظات ، فكان « كهمس » يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات ،

---

(١١) قال الشيخ العلاّمة ـ الدكتور ـ بكر بن عبد الله أبو زيد في « حليته » (ص ٤٥) ، ناصحًا ومحذرًا : « الوقت الوقت للتحصيل ، فكن حِلْفَ عملٍ لا حِلْفَ بطالة وبطر ، وحلسَ معمل لا حلْس تَلَةٍ وسمر ، فالحفظ على الوقت بالجد والاجتهاد ، وملازمة الطلب ، ومثافنة الأشياخ ، والاشتغال بالعلم قراءة وإقراءً ومطالعةً ، وتدبرًا ، وحفظًا ، وبحثًا ، ولاسيما في أوقات شرخ الشباب ، ومقتبل العمر ، ومعدن العافية ، فاغتنم هذه الفرصة الغالية ، لتنال رتب العلم العالية ، فإنها وقت جمع القلب ، واجتماع الفكر ، لقلة الشواغل ، والصوارف عن التزامات الحياة ، والترؤس ، ولخفة الظهر والعيال » ا.هـ.

(١٢) حديث صحيح . ورد من حديث جابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمرو ، ومعاذ بن أنس .
أما حديث جابر بن عبد الله : فأخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (١٠ / ٢٩٠) ، والترمذي (٣٤٦٤) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (ص ٢٤٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (موارد الظمآن : ٢٣٣٥) ، والبغوي في « شرح السنة » (٥ / ٤٣) ، والحاكم (١ / ٥٠١ ـ ٥٠٢) من طريق أبي الزبير ، عن جابر ، مرفوعًا به . قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير عن جابر » ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط مسلم » ، ووافقه الذهبي .
إلا أنه وقع في نسخة « تلخيص المستدرك » المطبوعة : « على شرط البخاري » . فإما أن يكون تحريف ، أو سبق قلم من الناسخ ، وأبو الزبير تفرد مسلم بإخراج حديثه .
وأما حديث عبدِ الله بن عمرو ، وحديث معاذ بن أنس ، فضعيفان ، وقد بينت عللها في كتابي « صون الشرع الحنيف ببيان الموضوع والضعيف » فالحمد لله على التوفيق .

وكان أربعون رجلاً من السلف يُصلون الفجر بوضوء العشاء ، وكانت رابعة لا تنام الليل ، فإذا طلع الفجر هجعت هجعة خفيفة وقامت فزعة ، وقالت لنفسها : النوم في القبور طويل .

فصل

ومن تَفَكَّر في الدنيا قبل أن يوجد ، رأى مدة طويلة ، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج ، رأى مدة قصيرة ، وعَلِمَ أن اللبث في القبور طويل ، فإذا تفكر في يوم القيامة ، علم أنه خمسون ألف سنة ، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار ، علم أنه لا نهاية له ، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا ـ فرضنا ستين سنة مثلاً ـ فإنه يمضي منها ثلاثون في النوم ، ونحو من خمس عشر في الصبا ، فإذا حسبت الباقي ، كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب ، فإذا خلص ما للآخرة ، وجد فيه من الرياء والغفلة كثير ، فبماذا تشتري الحياة الأبدية ، وإنما الثمن هذه الساعات .

فصل

ولا يؤنسك من الخير ما مضى من التفريط ، فإنه قد انتبه خلق كثير بعد الغفلة والرقاد الطويل ، فحدثني الشيخ أبو حكيم ، عن قاضي القضاة أبي الحسن الدامغاني ، قال :

كنت في صبوتي متشاغلاً بالبطالة ، غير أني ملتفت إلى العلم ، فأحضرني أبو عبيد الله ، وقال : يا بني إني لست أبقى لك أبدًا ، فخذ عشرين دينارًا وافتح دكان خباز ، وتمعش ، فقلت : ما هذا الكلام ؟! قال : فافتح دكان بزازٍ ، فقلت : تقول هذا وأنا ابن قاضي القضاة !! قال : فما أراك تحب العلم ! فقلت : اذكر لي الدرس الساعة ، فذكر لي فأقبلت على التشاغل بالعلم.

وحكى لي بعض أصحاب أبي محمد الحلواني ، قال : مات أبي وأنا ابن إحدى

وعشرين سنة ، وكنت في البطالة ، فأتيت أتقاضى بعض ساكني دار قد ورثتها ، فسمعتهم يقولون : قد جاء المدبر ، فقلت لنفسي : يقال عني هذا ، فجئت إلى والدتي فقلت : إذا أردت طلبي فاطلبيني من مسجد الشيخ أبي الخطاب ، ولازمته فما خرجت إلا إلى القضاء ، فصرت قاضيًا مدة .

ورأيته أنا وهو يفتي ويناظر ويصنف .

فالزم نفسك يا بني الانتباه عند طلوع الفجر ، ولا تتحدث بحديث الدنيا ، فقد كان السلف لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيء من أمور الدنيا .

وقل عند انتباهك : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم » (١٣) .

ثم قم إلى الطهارة ، واركع سنة الفجر ، واخرج إلى المسجد خاشعًا ، وقل في طريقك : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبممشاي هذا إليك ، إني لم أخرج أشرا ولا بطرًا ، ولا رياءً ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تجيرني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » (١٤) .

---

(١٣) لما أخرجه أحمد (٥ / ٣٨٥) ، والبخاري (٨ / ٨٥) ، وأبو داود (٥٠٤٩) ، وابن ماجه (٣٨٨٠) من طريق : عبد الملك بن عمير ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة بن اليمان ، قال : كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال : « باسمك أموت وأحيا » ، وإذا قام ، قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » .

(١٤) **حديث ضعيف** : أخرجه أحمد (٣ / ٢١) ، وابن ماجه (٧٧٨) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (رقم : ٨٤) من طريق : فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا به . وفي رواية أحمد شك فضيل في رفعه ، فقال : « أحسبه قد رفعه » .
ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » من طريق فضيل به موقوفًا .
قلت : وهذا إسناد ضعيف ، وله ثلاث علل :
الأولى : ضعف عطية العوفي ، وتدليسه . قال أبو حاتم وأحمد والنسائي وغيرهم : « ضعيف » ، =

واقصد الإمام ، فإذا فرغت الصلاة ، فقل : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » (عشر مرات) [(١٥)] .

ثم سبح عشرًا ، واحمد عشرا ، وكبّر عشرًا [(١٦)] ، واقرأ آية الكرسي [(١٧)] ،

= وقال أحمد : « بلغني أنَّ عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير ، وكان يكنى بأبي سعيد ، فيقول : قال أبو سعيد » ا.هـ.
يوهم بذلك أنه الخدري .

الثانية : فضيل بن مرزوق ، وهو صدوق فيه ضعف ، وروايته عن عطية العوفي مما تُكلِّمَ فيها . قال ابن حبان في « المجروحين » (٢ / ٢٠٩) : « منكر الحديث جدًا ، كان ممن يخطئ على الثقات ، ويروي عن عطية الموضوعات ، وعن الثقات الأشياء المستقيمة فاشتبه أمره ، والذي عندي أن كل ما روى عن عطية من المناكير ، يُلزق ذلك كله بعطية ، ويُبَرأ فضيل منها ، وفيما وافق الثقات من الروايات عن الأثبات يكون محتجًا به ، وفيما انفرد على الثقات ما لم يتابع عليه ، يتنكب عنها في الاحتجاج بها » ا.هـ.

قلت : وقد وثقه الثوري وابن عيينة ، ولابن معين فيه قولان ، أحدهما بالتوثيق ، والآخر بالتجريح .

الثالثة : اضطراب فضيل بن مرزوق في رفع ووقف هذا الحديث ، كما سبق بيانه ، وللحديث شاهد من حديث بلال بن رباح رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال : « بسم الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق مخرجي هذا ، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ، ولا رياءً ولا سمعة ، خرجت ابتغاء مرضاتك ، واتقاء سخطك ، أسألك أن تعيذني من النار ، وتدخلني الجنة » .

أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (رقم ٨٣) من طريق الوازع بن نافع العقيلي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله ، عن بلال به .

قلت : وهذا إسناد ضعيف جدًا ، آفته الوازع بن نافع العقيلي ، قال أحمد وابن معين : « ليس بثقة » ، وقال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال النسائي : « متروك » .

(١٥) لما رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (رقم : ١٢٥) بإسناد صحيح ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات ، كُنَّ له عدل نسمة » .

(١٦) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود (٥٠٦٥) ، والترمذي (٣٤١٠) ، والنسائي في « المجتبى » (٣ / ٧٤) ، وفي « عمل اليوم والليلة » (٨١٩) ، وابن ماجه (٩٢٦) بإسناد صحيح عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خير كثير من يعمله قليل دبر كل صلاة مكتوبة ، عشر تسبيحات ، وعشر تكبيرات ، وعشر تحميدات ، =

= فذلك مائة وخمسون باللسان ، وألف وخمسمائة في الميزان ، وإذا وضع جنبه سبح الله ثلاثًا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين ، وكبر الله أربعًا وثلاثين ، فذلك مائة باللسان ، وألف وخمس مائة في الميزان ، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمس مائة سيئة » .

وعطاء بن السائب ثقة إلا أنه كان قد اختلط ، ولكن هذا الحديث من رواية شعبة والثوري وحماد بن زيد ، وهم مِمَّنْ رووا عنه قبل الاختلاط والله أعلم .

وقد روي موقوفًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ دون الشطر الثاني من الحديث ـ أخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (رقم : ١٥٤) : أخبرنا أحمد بن سليمان ، قال : حدثنا يعلى ، قال : حدثنا موسى ـ هو الجهني ـ عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة به .

قلت : وهذا إسناد صحيح إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد خولف فيه يعلى بن عبيد .

فرواه المبارك بن سعيد ، عن موسى الجهني ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد مرفوعًا بلفظ حديث عبد الله بن عمرو .

أخرجه النسائي في « اليوم والليلة » (١٥٣) ، وقال ـ كما في « تحفة الأشراف » (٣ / ٣٢١) ـ « الصواب حديث يعلى » ا.هـ.

(١٧) **حديث حسن** : أخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (رقم : ١٠٠) :

أخبرنا الحسين بن بشر بطرسوس ـ كتبنا عنه ـ قال : حدثنا محمد بن حمير ، قال : حدثنا محمد ابن زياد ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة ، لم يمنعه من دخول الجنة ، إلا أن يموت » .

قلت : وهذا إسناد حسن ، محمد بن حمير صدوق حسن الحديث ، والحسين بن بشر قال أبو حاتم : « شيخ » ، وقال النسائي : « لا بأس به » ، وقال مرة : « ثقة » .

ورواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (رقم : ١٢٢) : حدثنا محمد بن عبيد الله بن الفضيل الكلاعي الحمصي ، حدثنا اليمان بن سعيد ، وأحمد بن هارون ، جميعًا بالمصيصة ، قالا : حدثنا محمد بن حمير به .

وهذا إسناد حسن بما قبله ، اليمان بن سعيد هو اليحصبي المؤدب ، من أهل مصيصة ، ذكره ابن حبان في « الثقات » (٩ / ٢٩٢) ، وقال : « ربما خالف » .

وأحمد بن هارون ، ترجمه الذهبي في « الميزان » (١ / ١٦٢) ، وقال : « ويقال له حميد المصيصي ، صاحب مناكير عن الثقات ، قاله ابن عدي » ا.هـ.

وللحديث طريق آخر عن أبي أمامة : رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (رقم : ١٢١) : أخبرنا محمد بن صاعد ، حدثنا علي بن الحسن بن معروف ، حدثنا عبد الحميد بن إبراهيم ـ أبو التقي ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن داود بن إبراهيم الذهلي ، أنه أخبره عن أبي أمامة ـ صدى بن عجلان الباهلي ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة =

وسل الله سبحانه قبول الصلاة ، فإن صح لك فاجلس ذاكرًا لله تعالى إلى أن تطلع الشمس ، فتركع وتقوم ا.هـ.

فصل

ثم تتشاغل بما يمكن من العلوم ، وأهمها : تصحيح القرآن ، ثم الفقه ، فإذا أعدت دروسك إلى وقت الضحى الأعلى ، فصل الضحى ثماني ركعات ، ثم تشاغل بمطالعة أو بنسخ إلى وقت العصر .

ثم عد إلى دروسك بعد العصر إلى المغرب ، وصلِّ بعد المغرب ركعتين ، تقرأ فيهما جزئين ، فإذا صليت العشاء ، فَعِد على دروسك .

ثم اضطجع ، فسبح ثلاثًا وثلاثين ، واحمد ثلاثًا وثلاثين ، وكبر أربعًا وثلاثين (١٨) .

وقل : « اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك » (١٩) .

= مكتوبة ، كان بمنزلة من قاتل عن أنبياء الله عز وجل حتى يستشهد » .

قلت : وهذا إسناد ضعيف ، إسماعيل بن عياش ضعيف في روايته عن غير الشاميين ، وداود بن إبراهيم الذهلي لم أجد من ترجم له ، والمتن فيه نكارة ، والله أعلم .

وقد أفحش ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ فأورد هذا الحديث من طريق محمد بن حمير في كتابه « الموضوعات » (١ / ٢٤٤) .

(١٨) لما رواه البخاري ومسلم في « صحيحيهما » من حديث علي رضي الله عنه : أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى في يدها من الرحى ، فأتت النبي ﷺ تسأله خادمًا ، فلم تجده ، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء أخبرته ، قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبت أقوم ، فقال : « مكانك » ، فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري ، فقال : « ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم ، إذا أويتما إلى فراشكما ، أو أخذتما مضاجعكما : فكبرا ثلاثًا وثلاثين ، وسبحا ثلاثًا وثلاثين ، واحمدا ثلاثًا وثلاثين ، فهذا خير لكما من خادم » ، وفي رواية : « التسبيح أربع وثلاثون » .

وفي الباب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ، وقد سبق تخريجه برقم (١٦) ، فالحمد لله على التوفيق .

(١٩) لما رواه الترمذي في « جامعه » (٣٣٩٨) : حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان ، عن عبد الملك =

وإذا فتحت عينيك من النوم ، فاعلم أن النفس قد أخذت حظها ، فقم إلى الوضوء ، وصل في ظلام الليل ما أمكن ، والتوسط أن تصلي ركعتين خفيفتين ، ثم بعدها ركعتين بجزئين من القرآن ، ثم تعوّد (*) على دروس العلم ، فإن العلم أفضل من كل نافلة .

فصل

وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير (٢٠) ، ولتكن جلساؤك الكتب ، والنظر في سير السلف ، ولا تشتغل بعلم حتى تُحْكِم ما قبله ، وتَلَمَّح سير الكاملين في العلم والعمل ، ولا تقنع بالدون ، فقد قال الشاعر في ذلك :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ القَادِرِين عَلى التَّمَامِ

واعلم أن العلم يرفع الأراذل ، فقد كان خَلْقٌ كثير من العلماء لا نسب لهم يذكر ولا صورة تستحسن ، وكان عطاء بن أبي رباح أسود اللون ، ومستوحش الخلقة وجاء إليه سليمان بن عبد الملك ـ وهو خليفة ـ ومعه ولداه ، فجلسوا يسألونه عن المناسك ، فحدثهم وهو معرض عنهم بوجهه ،

= ابن عمير ، عن ربعي بن حِراش ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن ينام وضع يده تحت رأسه ، ثم قال : « اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك » ـ أو ـ « تبعث عبادك » .

قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

(*) كذا وقع في « الأصل » ، والصواب : (تعيد) .

(٢٠) إنما العزلة تكون من فضول الصحبة وزيادتها ، وما لا يتأتى من ورائه طائل .

قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ في « العزلة » (ص ١٤) : « ولسنا نريد ـ رحمك الله ـ بهذه العزلة التي نختارها مفارقة الناس في الجماعات والجمعات ، وترك حقوقهم في العبادات ، وإفشاء السلام ، ورد التحيات ، وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم ، ووضائع السنن ، والعادات المستحسنة فيما بينهم ، فإنها مستثناة بشرائطها ، جارية على سبلها ، ما لم يحل دونها حائل شغل ، ولا يمنع عنها مانع عذر ، إنما نريد بالعزلة ، ترك فضول الصحبة ، ونبذ الزيادة منها ، وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها » ا.هـ.

فقال سليمان لولديه ، قوما ولا تنيا في طلب العلم ، فما أنشأ ذُلّنا بين يدي هذا العبد الأسود .

وكان الحسن مولىً ، وابن سيرين ، ومكحول ، وخلق كثير ، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى .

فصل

واجتهد يا بني في صيانة عرضك من التعرض لطلب الدنيا ، ولا تذلن لأهلها ، واقنع تعز ، فقد قيل : من قنع بالخبز والبقل ، لم يستعبده أحد .

وجاز أعرابي بالبصرة ، فقال : من سيد هذه القرية ؟ فقالوا : الحسن ، قال : ولم سادهم ؟ قالوا : استغنى عن دنياهم ، وافتقروا إلى علمه .

واعلم يا بني :

أن أباك كان له والد موسر ، خلّف ألوفا من المال ، وكان أبوك طفلا ، فأنفق عليه من ذلك إلى أن بلغ ، ولم ير بعد بلوغه سوى دارين ، كان يسكن واحدة ، ويأخذ أجرة أخرى ، ثم أعطى نحو عشرين دينارًا . قبل هذه التركة كلها ، فاشترى كتبا من كتب العلم ، وباع داريه وأنفقهما في طلب العلم ، ولم يبق له شيء ، وما ذل في طلب الدنيا كذل غيره ، ولا خرج يطوف البلدان كغيره من الوعاظ ، ولا رأى أكابر البلدان رقاعه عندهم يستعطيهم ، وأموره تجري على السداد . ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ (الطلاق : ٢ ـ ٣) انتهى .

فصل

يا بني : ومتى صححت التقوى ، رأيت كل خير ، فالمتقي لا يرائي الخلق ، ولا يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود الله حُفظ .

قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله تعالى عنهما : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك » [٢١] .

واعلم يا بني أن يونس عليه السلام كانت له خميرة خير نُجِّي بها من السدة ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (الصافات : ١٤٣ - ١٤٤) .

وإن فرعون لما لم تكن له خميرة خير لم يجد لسكرته مخلصا ، فقيل له : ﴿ آلآن وقد عصيت قبل ﴾ (يونس : ٩١) .

فاجعل لك ذخائر خير من تقوى تجد تأثيرها .

وقد جاء في الحديث : « ما من شاب اتقى الله تعالى في شبابه إلا رفعه الله تعالى في كبره » [٢٢] .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف : ٢٢) .

واعلم يا بني أن أوفى الذخائر : غض طرف عن محرم ، وإمساك فضول

---

(٢١) حديث حسن : أخرجه أحمد (١ / ٢٩٣) ، والترمذي (٢٥١٦) من طريق : ليث بن سعد ، عن قيس بن الحجاج ، عن حنش الصنعاني ، عن ابن عباس به .
قال الترمذي : « حسن صحيح » ، وله طرق أخرى عن ابن عباس . والله أعلم .

(٢٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ : ولكن روى أبو نعيم في « الحلية » (٤ / ١٢٨ - ١٣٩) من طريق يحيى بن أيوب ، قال : حدثنا عبد الجبار بن وهب ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله السلمي ، عن شريح ، قال : حدثني البدريون ، منهم عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « ما من شاب يدع لذة الدنيا ولهوها ، ويستقبل بشبابه طاعة الله إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقًا ، ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك شهوته لي ، المتبذل شبابه لي ، أنت عندي كبعض ملائكتي » .
قال أبو نعيم : « غريب من حديث شريح ، تفرد به يحيى عن عبد الجبار » .
يشير بذلك إلى نكارته ، والإسناد واهٍ . فيه عبد الجبار بن وهب ، قال العقيلي : « مجهول » ، وقال الذهبي : « لا يدرى من هو » .

كلمة ، ومراعاة حد ، وإيثار الله تعالى على هوى النفس ، وقد عرفت حديث الثلاثة ، الذين دخلوا إلى غار ، فانطبقت عليهم صخرة ، فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي أبوان وأولاد ، فكنت أقف بالحليب على أبوي فأسقيهما قبل أولادي ، فإن كنت فعلت ذلك لأجلك ، فافرج عنا ، فانفرج ثلث الصخرة ، فقال الآخر اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا فتسخط أجره ، فأتجرت له به ، فجاء يومًا فقال : ألا تخاف الله ، فقلت : انطلق إلى تلك البقر ورعاتها فخذها ، فإن كنت فعلت ذلك لأجلك فافرج عنا ، فانفرج ثلث الصخرة ، فقال الآخر : إني علقت ببنت عم لي ، فلما دنوت منها قالت : اتق الله فقمت، فإن كنت إنما فعلت لأجلك فافرج عنا ، فرفعت الصخرة وخرجوا [٢٣] .

ورؤي سفيان الثوري في المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ، قال : ما كان إلا أن وضعت في اللحد ، فإذا أنا بين يدي رب العالمين ، فأمر بي إلى الجنة ، فإذا أنا بقائل يقول : سفيان ، قلت : سفيان ، قال : تذكر يوم آثرت الله تعالى على هواك ، قلت : نعم ، فأخذتني صواني النثار من الجنة .

فصل

وينبغي أن تسمو همتك إلى الكمال ، فإن خلقا وقفوا مع الزهد ، وخلقا تشاغلوا بالعلم ، وندر أقوام جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل ، وقد تصفحت التابعين ومن بعدهم ، فما رأيت أحظى بالكمال من أربع أنفس : سعيد بن المسيب ، وسفيان الثوري ، والحسن البصري ، وأحمد بن حنبل ، وقد كانوا رجالاً إنما كانت لهم هم ضعفت عندنا ، وقد كان في السلف خلق كثير لهم هم عالية ، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم ، فانظر في كتاب « صفوة الصفوة » [٢٤] ، وإن شئت « أخبار سعيد » ، و « أخبار سفيان » ،

(٢٣) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٤ / ٢٠٩) ، ومسلم (٨ / ٨٩) من طريق نافع ، عن ابن عمر مرفوعًا به .

(٢٤) وهو كتاب اختصر فيه ابن الجوزي كتاب « حلية الأولياء » للحافظ أبي نعيم الأصبهاني رحمه الله.

وأخبار « أحمد بن حنبل » ، فقد جمعت لكل واحد منهم كتابًا .

فصل

وقد علمت يا بني أنني قد صنفت مائة كتاب ، فمنها :

« التفسير الكبير » عشرون مجلدًا ، و« التاريخ » عشرون مجلدًا ، و « تهذيب المسند » عشرون مجلدًا ، وباقي الكتب خمس مجلدات ، ومجلدين ، وثلاثة ، وأربعة ، وأقل ، وأكثر ، كفيتك بهذه التصانيف واستعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف (*) فعليك بالحفظ ، فإن الحفظ رأس مال (٢٥) ، والتصرف ربح ، واصدق في اللجأ إلى الله سبحانه ، وراع حدوده ، ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ (محمد : ٧) ﴿ اذكروني أذكركم ﴾ (البقرة : ١٥٢) ﴿ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ (البقرة : ١٤٠) .

(*) وقع في « الأصل » : (تأليف) ، والصواب ما أثبتناه .

(٢٥) وقد تكلم كثير من العلماء في الأسباب التي يستعان بها على الحفظ ، فمنها :

(١) تحسين النية ، بأن يكون قصد الطالب بالحفظ ابتغاء وجه الله تعالى ، والنصيحة للمسلمين في الإيضاح والتبيين .

(٢) اجتناب المعاصي والمحرمات . قال الخطيب في « الجامع » (٢ / ٢٥٨) :

أنشدنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكري لبعضهم :

شكوتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حِفْظي ... فأومأ لي إلى تَرْكِ المَعاصي

وقالَ بأنَّ حفظ الشيءِ فَضْلٌ ... وفَضْلُ الله لا يدركه عاصي

ونسبه بعضهم للإمام الشافعي رحمه الله .

(٣) يأخذ نفسه باتباع أوامر القرآن والحديث الذي طلب علمها ، والعمل بما تعلم .

(٤) تطييب كسبه ، وإصلاح غذاءه ، وإقلال طعامه ، ذكرها الخطيب في « الجامع » (٢ / ٢٥٧) .

وقال الزرنوجي في « تعليم المتعلم » (ص ٥٤) : « وأقوى أسباب الحفظ : الجدُّ والمواظبة ، وتقليل الغذاء وصلاة الليل ، وقراءة القرآن من أسباب الحفظ ، قيل : ليس شيء أزيد للحفظ من قراءة القرآن نظرًا ، وقراءة القرآن نظرًا أفضل » ا.هـ.

فصل

وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به ، فإن الداخلين على الأمراء ، والمقبلين على أهل الدنيا ، قد أعرضوا عن العمل بالعلم ، فمنعوا البركة والنفع . انتهى .

فصل

وإياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم ، فإن خلقًا من المتزهدين والمتصوفة خلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم [٢٦] .

واستر نفسك بثوبين جميلين ، لا يشهرانك بين أهل الدنيا برفعتها ، ولا بين المتزهدين بضعتها ، وحاسب نفسك عند كل كلمة ونظرة وخطوة ، فإنك مسئول عن ذلك ، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعونْ ، ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه ، زلت موعظته عن القلوب ، كما يزل الماء عن الحجر ، فلا تعظن إلا بنية ، ولا تمشينَّ إلا بنية ، ولا تأكلنَّ إلا بنية ، ومع مطالعات أخلاق السلف ينكشف لك الأمر . انتهى .

فصل

وعليك بكتاب « منهاج المريدين » ، فإنه يعلمك السلوك ، فاجعله جليسك ومعلمك ، وتلمح كتاب « صيد الخاطر » ، فإنك تقع بواقعات تصلح أمر دينك ودنياك ، واحفظ كتاب « جنة النظر » ، فإنه يكفي في تلقيح فهمك للفقه ، ومتى تشاغلت بكتاب « الحدائق » ، أطلعك على جمهور

---

(٢٦) وهذه النصيحة مما يعضّ عليها بالنواجذ ، فاحرص عليها أيها الطالب ، واعمل بها ، فإن فيها خير الدنيا والآخرة ، فكم من عابد ذلّ بجهله ، ووقع في مكائد الشيطان ، حتى أخرجهم من دين الله ، فادعى بعضهم سقوط التكاليف عنه ، وادعى آخر أنه يوحى إليه ، وادعى ثالث الربوبية ـ والعياذ بالله ـ وما جنى عليهم إلا جهلهم بدين الله سبحانه وتعالى .

الحديث ، وإذا التفت إلى كتاب « الكشف » ، أبان لك مستور ما في الصحيحين من الحديث ، ولا تشاغلن بكتب التفاسير التي صنفتها الأعاجم ، وما ترك « المغني » و « زاد المسير » حاجة إلى فن التفاسير ، ولا ما جمعته لك من كتب الوعظ حاجة إلى وعظ أصلاً والله أعلم .

فصل

وكن حسن المدارة للخلق ، مع شدة الاعتزال عنهم ، فإن العزلة راحة من خلطاء السوء ، ومنقبة للوقار ، فإن الواعظ خاصة ينبغي أن لا يُرى متبذلاً ، ولا ماشيًا في سوق ، ولا صاخبًا ، لتحسين الظن به ، فينتفع بوعظه .

فإذا اضطررت إلى مخالطة الناس ، فبالحلم عنهم ، فإنك إن كشفت أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم انتهى .

فصل

وأد إلى كل ذي حق حقه ، من زوجة أو ولد أو قرابة ، وانظر كل ساعة بماذا تذهب ، ولا تودعها إلا أشرف ما يمكن . وابعث إلى صندوق ما يسرك يوم الوصول إليه ، وراع عواقب الأمور ، يهن عليك الصبر على المشتهى وعلى المكروه ، وإن وجدت من نفسك غفلة ، فاحملها إلى المقابر ، وذكّرها قُرْبَ الرحيل ، ودبر أمرك في إنفاقك من غير تبذير ، لئلا تحتاج إلى الناس .

فصل

واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق ، وأبونا القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأخباره موثقة في كتاب « صفوة الصفوة » ، ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء ، فما كان من المتأخرين من رُزق همة في طلب العلم غيري ، وقد آل

الأمر إليك ، فاجتهد أن لا تخيب ظني فيما رجوته فيك ولـك ، وقـد أسلمتـك إلى الله سبحانه ، وإياه أسأل أن يوفقك للعلم والعمل ، وهذا قدر اجتهادي في وصيتك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والحمد الله رب العالمين .

الفهارس العلمية :

١ - فهرس أطراف الأحاديث .

٢ - فهرس الجرح والتعديل .

٣ - فهرس الموضوعات والفوائد .

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس الجرح والتعديل

فهرس الموضوعات والفوائد

منشورات دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة ١٢٠ شارع الأزهر تلفون : ٩٣٢٨٢٠ / ٢٦٣١٥٧٨ فاكس : ٢٦٢١٧٥٠

آداب الخطبة والزفاف	عبد الله ناصح علوان
أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء	محمد عوامـــة
اختلاف الدارين وأثره في أحكام المناكحات والمعاملات	إسماعيل لطفي فطاني
الأخوة الإسلامية	عبد الله ناصح علوان
الأساس في التفسير ١ / ١١	سعيد حوّى
الأساس في السنة (سيرة) ١ / ٤	سعيد حوّى
الأساس في السنة (عقائد) ١ / ٣	سعيد حوّى
الإسلام وحاجة البشرية	رفعت فوزي عبد المطلب
الإسلام والحب	عبد الله ناصح علوان
أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة المخدرات	مصطفى فوزي غزال
الإمام مسلم بن حجاج	محمود فاخوري
إلى كل أب غيور يؤمن بالله	عبد الله ناصح علوان
إلى ورثة الأنبياء	عبد الله ناصح علوان
الإيمان خصائصة وعلاماته ١ / ٢	أحمد عز الدين البيانوني
الإيمان بالله	أحمد عز الدين البيانوني
الإيمان بالرسل	أحمد عز الدين البيانوني
الإيمان بالملائكة	أحمد عز الدين البيانوني
الإيمان باليوم الآخر	أحمد عز الدين البيانوني

الباهـــر	السيوطي ت: د. محمد خيري
بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ	عبد الوهاب عبد السلام
الكتب المقدسة في ميزان التوثيق	عبد الوهاب عبد السلام
بين العمل الفردي والعمل الجماعي	عبد الله ناصح علوان
التحالف السياسي في الإسلام	منير الغضبان
تربية الأولاد في الإسلام	عبد الله ناصح علوان
ترشيد الصحوة الإسلامية	أبو الحسن الندوي
تفسير جزء عم	أحمد قلاش
تفسير من نسمات القرآن	غسان حمدون
تلخيص صحيح مسلم ١ / ٢	الإمام القرطبي ت: رفعت فوزي وأحمد محمود
التوحيد ١ / ٢	عبد المجيد الزنداني
توحيد الخالق ١ / ٢	عبد المجيد الزنداني
ثقافة الداعية	عبد الله ناصح علوان
التصريح بما تواتر في نزول المسيح	الكشميري الهندي
حكم الإسلام في وسائل الإعلام	عبد الله ناصح علوان
حكمة الابتلاء	ابن القيـــم
الدراسات الفقهية على مذهب الإمام الشافعي	د. خالد الشقفة
دراسات في الاختلافات الفقهية	محمد أبو الفتح البيانوني
الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمي	عبد الله ناصح علوان
دور الشباب في حمل رسالة الإسلام	عبد الله ناصح علوان
الرؤى والأحلام	أحمد عز الدين البيانوني
رحلة عبر الغيب	عبد الكريم عثمان
روضة الأحباب	محمد عاشق الإلهي البرني

زوجة الغائب	د. محمد عبد الرحيم
السلوك عند الحكيم الترمذي	عبد الرحيم السايح
شبهات وردود حول العقيدة الربانية وأصل الإنسان	عبد الله ناصح علوان
شرح مختصر المنار	الكـوراني ت.د. شعبان محمد إسماعيل
صحيفة الإمام علي بن أبي طالب	د. رفعت فوزي عبد المطلب
صفات الداعية النفسية	عبد الله ناصح علوان
الصلاة على المذاهب الأربعة مع أدلة أحكامها	عبد القادر الرحباوي
الصلاة الخاشعة هي الصلاة النافعة	أحمد قلاش
صلاح الدين الأيوبي	عبد الله ناصح علوان
العبادة دراسة منهجية شاملة	محمد أبو الفتح البيانوني
عبد الله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة	د. عبد الله محمد سلقيني
عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام	عبد الله ناصح علوان
عقبات في طريق الدعاة ١ / ٢	عبد الله ناصح علوان
فتح العلام بشرح مرشد الأنام	السيد محمد عبد الله

رقم الإيداع : ١٥٧٦ / ١٩٩٢

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
١٢٠ شارع الأزهر تلفون ٩٣٢٨٢٠ - ٢٦٣١٥٧٨
ص . ب ١٦١ الغورية - فاكس ٩٣٦٣٥٢